

أبو مدين الغوث بين العرفان والتربية - قراءة في كتاب أنس الوحيد ونزهة المريد

**Abû Madyan al-Ghawth entre gnose et formation spirituelle : Lecture
" de l'ouvrage Anîs al-Wahîd wa Nuzhat al-Murîd**

**Abû Madyan al-Ghawth between Gnosis and Spiritual Training: A
Reading of Anis al-Wahîd wa Nuzhat al-Murîd**

بن معمر بوخضرة

عباس رضوان

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، (الجزائر)، boukhadra13@yahoo.fr

المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ abbasreda13gmail.com

تاريخ الإرسال: 09-05-2025 تاريخ القبول: 16-06-2025 تاريخ النشر: 30-06-2025

الملخص: يتناول هذا العمل دراسة شخصية أبي مدين الغوث، أحد أبرز أعلام التصوف في الغرب الإسلامي، من خلال مقارنة ثنائية تجمع بين البعد العرفاني (الروحي) والبعد التربوي (السلوكي). ويُعدّ أبو مدين شخصية محورية في تشكيل معالم التصوف المغربي والأندلسي، إذ لا تقتصر أهميته على كونه شيخًا صوفيًا، بل يمتد أثره إلى المجال التربوي، حيث أسّس منهجًا في تهذيب النفس وتربية المريدين.

تتم هذه القراءة من خلال تحليل كتاب أنيس الوحيد ونزهة المريد، وهو مصدر هام في التعريف بتعاليم أبي مدين، ومفاهيمه في السير والسلوك، وعلاقته بالمريدين، وموقفه من المعرفة العرفانية. يستعرض الكتاب نماذج من أقواله وتوجيهاته التي تُظهر توازنه بين التنظير الصوفي والممارسة العملية، مما يجعله نموذجًا للتكامل بين "العرفان" كمستوى معرفي روحي، و"التربية" كمسار تطبيقي في السلوك.

يسعى هذا البحث إلى إبراز كيف استطاع أبو مدين أن يوفق بين الإشراق الصوفي والتوجيه التربوي، وأن يبنى مدرسة صوفية كان لها أثر عميق في التصوف المغربي والعثماني لاحقًا، وهو ما يبرزه هذا النص في إطار قراءة تأويلية تعتمد المنهج التحليلي والنقدي.

الكلمات المفتاحية: بومدين الغوث، العرفان الصوفي، التربية الروحية، أنيس الوحيد ونزهة المريد، تربية المريد

Abstract:

This study explores the figure of Abû Madyan al-Ghawth, one of the most influential Sufi masters of the Islamic West, through a dual approach that examines both his mystical (gnostic) thought and his pedagogical (spiritual training) practices. Abû

أبو مدين الغوث بين العرفان والتربية- قراءة في كتاب أنس الوحيد ونزهة المريد

Madyan's significance transcends his role as a Sufi leader; he played a foundational role in shaping the Maghrebi-Andalusian Sufi tradition by establishing a coherent system of spiritual education and ethical refinement for his disciples.

The focal point of this analysis is the work *Anīs al-Wahīd wa Nuzhat al-Murīd*, a key source that conveys Abū Madyan's teachings, including his guidance to spiritual aspirants, his views on mystical knowledge ('irfān), and his approach to spiritual discipline. The book presents a collection of sayings and instructions that reflect his synthesis of theoretical Sufism and practical guidance, embodying a balanced model between "gnosis" as a form of inner knowledge and "spiritual education" as a path of ethical and spiritual development.

This research aims to highlight Abū Madyan's ability to reconcile mystical illumination with a structured pedagogical framework, thereby laying the groundwork for a Sufi school that deeply influenced Maghrebi and later Ottoman Sufism. The study adopts a hermeneutic and analytical approach to uncover the intellectual and educational dimensions of his legacy.

Keywords: Abū Madyan al-Ghawth; Sufi gnosis; *Anīs al-Wahīd wa Nuzhat al-Murīd*; Discipleship training.

المؤلف المرسل: عباس رضوان، الإيميل: abbasreda13gmail.com

1. مقدمة:

إن الحديث عن مشايخ التصوف يجعلنا نقف على علوم لا نعرفها بالعقل وإنما نعرفها بالذوق، فهم سلكوا طريق الحق، وأدركوا أسرار الربوبية والألوهية، وأصبحوا معالم مضيئة في الطريق يهتدي إليها المريدون والمحبون والسالكون، فحق لهم أن ينالوا مرتبة العرفان، وأن ينالوا مرتبة المشيخة.

وحديثاً في هذا الموضوع سنجعله ينصب على قطب بين أقطاب التصوف الذي نال هاتين المرتبتين، إنه شيخ الشيوخ والقطب الغوث سيدي بومدين شعيب الأشبيلي قدس الله سره، كيف أدرك مرتبة العرفان وما طريقته في السلوك والتربية هذا ما سنحاول معرفته من خلال هذه الورقة البحثية.

سيدي بومدين وبداية طريق العرفان: لقد أدرك سيدي بومدين منذ طفولته أنه منذور إلى معرفة الطريق الذي يؤدي إلى الله، فخرج باحث عن شيوخ التربية، والمشيخة هي دليل الوصول في الطريق، فالشيخ لا يكون شيخاً إلا إذا كان شيخاً على نفسه أولاً.

بن معمر بوخضرة، عباس رضوان

إذ" يشترط لها أن يكون الصوفي موصوفا بصفات الكمال ومعرضا عن حب الدنيا والجاه ، وما أشبه ذلك".
(حنفي، 1987)

فالصوفي يتوخى تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله سبحانه وتعالى. كما يشترط فيه أخذ العلم في سلسلة الشيوخ المحققين الذين انتهت المشيخة بهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فالصوفية ينطلقون من المبدأ القائل وهو مبدأ أساسي في الفكر الصوفي (من لا شيخ له فالشيطان شيخه).

وسيدي بومدين الغوث قدس الله سره أخذ عن جماعة من المشايخ الكبار نذكر منهم:
الشيخ الحافظ أبو الحسن على بن اسماعيل بن محمد عبد الله بن حرزهم (ت 559هـ - 1193م) فقد أخذت عنه كتاب الرعاية للمحاسبي وإحياء علوم الدين الغزالي وقرأ عليه علم الأصول وعلم الكلام.
كما أخذ الشيخ أبي مدين علمه عن الشيخ المرئي صاحب الكرامات أبي يعزى يلنور بن عبد الرحمان بن أبي بكر الأيلاني (ت 772 هـ - 1176م) حيث تربى على يديه روحيا وأخذ عنه الخرقه الصوفية. (الزهري، 2003) كما أخذ من الشيخ العارف بالله سيدي عبد القادر الجيلالي (ت 561 هـ - 1166 م) حيث التقى به في مكة المكرمة وقرأ عليه كثيرا من الحديث و لبس منه الخرقه الصوفية.

وقبل هذا كانت أولى طريق السلوك عند أبي مدين كشفا على يد شيخ إلتقاه لما عبر البحر من الأندلس إلى المغرب وقال له الشيخ أراك تروم أمرا، فإرجع إلى الحاضر فإن الله لا يعبد بالجهل ولا يعبد إلا بالعلم فيقول الشيخ أبو مدين: " أني رجعت إلى إشبيليا ثم ذهبت إلى شريس و منها الجزيرة و منها إلى الجزيرة الخضراء فجزت البحر إلى سبتة ومنها ذهبت إلى فاس" (المدني، صفحة 83) وهنا كانت له قصة عجيبة عن هذا اللقاء بشيخه أبي يعزى يقول عنه بقيت مدة و أخبار أب يعزى ترد عليا و كراماته يتداولها الناس فمأ حبه فقصدته مع الفقراء.

فلما وصلنا إليه أقبل عليهم دوني، و إذا حضر الطعام منعني من الأكل معهم. فبقيت ثلاثة أيام فأجهدني الجوع و تحيرت من خواطر ترد عليا وقلت في نفسي : " إذا قام الشيخ من موضعه مرغت فيه وجهي ، فلما قام مرغته فإذا أنا فإذا أنا لا أبصر شيئا فبكيت ليلتي، فلما أصبح دعاني وقرني فقلت يا سيدي قد عميت

أبو مدين الغوث بين العرفان والتربية- قراءة في كتاب أنس الوحيد ونزهة المريد

فمسح بيده على عيني فبصرت ثم على صدري فزال عني تلك الخواطر، وفقدت ألم الجوع و شاهدت في الوقت عجائب بركاته ثم استدنته في الانصراف للحج فأذن لي وقال: ستلتقي في طريقك الأسد فلا يرعك فإن غلب عليك خوفه فقل (بجرمة آل النور إلا انصرفت عني فكان الأمر كما قال) (المدني، صفحة 85) وهنا بدأ سيدي بومدين الغوث رحلة جديدة من العرفان والكشف والمشاهدة.

العرفان عند سيدي بومدين الغوث: إن حقيقة العرفان عند سيدي بومدين الغوث هي نفس الحقيقة التي عرفها السادة الصوفية أهل الطريق في الوصول إلى معرفة الله سبحانه وتعالى فصدق السير إلى الله يجعل القلوب المجلوة محلا لقبول دقائق المعارف الربانية " التي يهدي الحق تعالى بها أهل القرب ليكون سيرهم في الله بالله". (زيدان، صفحة 139)

وقد كان أهل الشريعة والحقيقة يفرقون بين العلم والمعرفة، وعادة من كانوا ينسبون العلم إلى الظاهر والمعرفة إلى الباطن، فأهل العرفان الجهد، أما المعرفة فهي ما يأتي للقلب من الصفاء وقبول فيض الجود" (زيدان، 1991)

والمعرفة في نظر المتصوفة لا تكون إلا لخاصة الناس بعد عروجهم الذوقي إلى الله وخلاصهم من شواغل الحياة. والصوفية كان لهم الجمع بين الشريعة والحقيقة، فقد اصطلح على تسمية الإسلام بالفقه، وعلى تسمية ركن الإيمان هو العلم بالله الجازم المطابق للواقع من دليل. والذي يسمى أيضا بعلم اليقين، فإذا ارتقي المؤمن من علم اليقين إلى عين اليقين صار الغيب له كأنه شهادة وصار يعبد الله كأنه يراه ويسمى هذا المقام بعين اليقين.

كما أن الجمع بين الشريعة والحقيقة تسمى حكمة التي هي صفة من صفات الله سبحانه وتعالى "الحكيم" والحكمة هي من علم الوهن وليست من علم الكسب يهبها الله لمن يشاء من عباده لذلك فإنه يقول "ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا" سورة البقرة الآية 259

هذه الحكمة التي أتاها الله لسيدي بومدين الغوث كانت تتويجا لما وصل إليه من عرفان ووصوله إلى مقامات عالية من مقامات المتصوفة والتي تجلت في كتابة أنس الوحيد ونزهة المريد.

الحكمة عند السادة الصوفية هي مجمع العلم والعرفان ونظر النورانية التي تحتويها، فهي تأتي كإشارات أو رموز تفهم بحسب ما وصل إليه متلقيها من المقامات، وهي حسب عبد الرزاق القشاني في كتابه اصطلاحات الصوفية " هي العلم بحقائق الأشياء وأوصافها وخواصها وأحكامها على ما هي عليه وارتباط الأسباب بالمسببات وأسرار نظام الموجودات والعمل بمقتضاه". (القشاني، 2005)

والحكمة عند القشاني أنواع وهي الحكمة المنطوق بها، وهي علوم الشريعة والطريقة

- الحكمة المسكوت عنها: هي أسرار الحقيقة التي لا يفهمها علماء الرسوم والعوام.

- الحكمة المجهول: هي ما خفي عليها وجه الحكمة في إيجاده كإسلام بعض العباد ة وموت الأطفال والخلود في النار، فيجب الإيمان به الرضا بوقوعه واعتقاد كونه عدلا وحقا.

- وأخيرا الحكمة الجامعة معرفة الحق والعمل به، ومعرفة الباطل وللاجتناب عنه كما قال عليه السلام: "اللهم أرنا الحق حقا وأرزننا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وأرزننا اجتنابه". (كثير)

والحكمة عند سيدي بومدين كانت من النوع الأول الذي يتوجه به إلى مربيه، وهي تصلح لمبتدئ في الطريق لأنها تجمع ما بين الحقيقة والشريعة، فنستطيع فهمها على الوجه الذي قالت به مصادر التشريع القرآن والسنة خاصة.

هذه الحكم جمعها في كتاب سماه أنس الوحيد ونزّهه المريد في التوحيد ذكرها حاجي خليفة في كشف الظنون واسماعيل البغدادي في إيضاح المكنون وقد شرّحه شهاب الدين أحمد بن عبد القادر المعروف بـ ابن عشن وسماه البيان والمؤيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد وقد حالت من خلال هذه القراءة لكتاب أنس الوحيد ونزّهه المريد من كلام سيدنا أبي مدين رضي الله عنه ونفعنا به أن قسم الحكم إلى قسمين:

- قسم خاص العرفان ومقاماته.

- قسم خاص بالتربية وشروطها.

أبو مدين الغوث بين العرفان والتربية- قراءة في كتاب أنس الوحيد ونزهة المرید

1-حكم العرفان: هي ما تم الوصول فيها إلى التخفيف بالذات الإلهية والتي لا يصل إليها إلا العالم العارف ففي إحدى حكمه يقول: " الحق سبحانه وتعالى يجرى على كل السنة علماء كل زمان ما يليق بأهله.

وهذا يعني أن الخوض في طريق السلوك لا يكون إلا بالعلم وأن مستويات هذا العلم متفاوتة حسب التمكن وحجة الانقباض على هذا العلم. فالعلماء يتفاوتون في علمهم حسب الأزمان والأماكن.

قال القشاني: " سر العلم هو حقيقة العلماء بالله لا بغيره من الأسماء". (القشاني ع.، 2005)

فالعالم العارف هو الذي يصل إلى التحقيق بالذات الإلهية وأدركوا معنى الأحادية والألوهية وفتوا فيها ولذلك فإنه إذا ظهر الحق لم يبقى معه غيره ومن هنا كان التحقق شرطاً ضروري عند العارف حتى لا يفتن ولا يفتن.

لذا فهو يقول في حكمة أخرى: " من خرج إلى الخلق قبل وجود حقيقة تدعوه إلى ذلك فهو مفتون". (الزهرى، 2003)

هذه الحقيقة هي ملازمة لصاحبها في الحركات والسكنات في اليقظة والنام يقول: " من عرف الله تعالى استعان به في اليقظة والنام". (الزهرى، 2003)

التربية وشروطها في حكم أبي مدين الغوث:

لا شك أن القاعدة التي ينطلق منها كل صوفي هي:

التخلية والتحلية، فلقد حرص أهل التصوف على تقديم آداب الطريق قبل جزيئاته وتفصيلاته حتى لا يكون هناك أي انحراف، وفرقوا بين أخذ التلقين وبين التقليد وكانوا حرصين في ذلك على عدم انفصال الحقيقة التي ينشدونها عن الشريعة التي يتمسك بها كل مؤمن موحد منها على سبيل المثال كتاب سلوك الطريقة في الجمع بين كلام أهل الشريعة والحقيقة للشيخ المرعي .

وكان أهل التصوف شديداً الحذر من الدعاوي الكاذبة في التدين من ذلك خوفهم الشديد من الرياء وتطلّعهم المستمر إلى الإخلاص.

ولهذا الخوف بنشر الصوفية أعمالهم حذراً عليها، بل كان البعض منهم يظهر ضد ما يعمل فكان ابن سيرين يضحك بالنهار ويكي بالليل.

بن معمر بوخضرة، عباس رضوان

فقد كان شغلهم الشاغل هو الاهتمام المتواصل بالتخلق واكتساب المكارم والفضائل فمن المعايير الملحوظة عندهم حسن السلوك الاجتماعي والمؤاخاة والإيثار والصبر على التعايش.

قال أبو عبد الله الساحلي: إن أهل الله الذين اهتبلوا بمعاملته لا يسامحون أنفسهم في أدب ولا يتناون عن كمال ضبط لأحوالهم رياضة لأنفسهم فكما أن أهل الدنيا ضبطوا أمور دنياهم ورتبوا فيها لأنفسهم أموراً مكملة لأغراضهم ومتممة لأهوائهم كذلك أهل الآخرة ضبطوا أحوالهم في وجهتهم إلى الله تعالى بأمور مكملة لمقاصدهم متممة لأحوالهم لكل فريق منهم شرب معلوم. (العلمي)

فالتربية الصوفية عن الشيخ أبي مدين شعيب كانت تستمد من الممارسات العبادية الحقة. فهي طريق سلوك العبد إلى ربه شريعة وحقيقة، فأغلبها جاءت عبارة عن مجاهدات للنفس وتمكن من تزكيتها وذلك بتنمية روح المراقبة والمحاسبة عند الأفراد، بل أنهم جعلوا من هذه التزكية درجات للترقي الروحي (المدني، 2007) وتزكية النفس فتكلموا عن مقام الصبر ومقام الفقر، ومقام المحبة وغيرها من المقامات وجعلوها طريقاً للسالك إذا أراد الوصول إلى رضا الله ومحبته.

المصادر والمراجع

- الزهري، خ. (2003). محقق كتاب أنس الوحيد و نزهة المريد لإبي مدين الغوث). ١. الأولى (Éd.), منشورات محمد علي ببيضون، دارالكتب العلمية، بيروت.
- الزهري، خ. (2003). محقق كتاب أنس الوحيد و نزهة المريد لإبي مدين الغوث)، ل. الأولى (Éd.), منشورات محمد علي ببيضون، دارالكتب العلمية، بيروت.
- الزهري، خ. (2003). محقق كتاب أنس الوحيد و نزهة المريد لإبي مدين الغوث). ١. الأولى (Éd.), منشورات محمد علي ببيضون، دارالكتب العلمية، بيروت.
- العلمي، أ. ع. (s.d.). بعية السالك. أطروحة مرقونة بكلية الآداب ظهر المهرار فاس.

أبو مدين الغوث بين العرفان والتربية- قراءة في كتاب أنس الوحيد ونزهة المريد

القشاني، ع. (2005). شرح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأدواق والأحوال. ط. (Éd.)، 1 دار الكتب العلمية بيروت.

القشاني، ع. 1. (2005). الإصلاحات الصوفية. 1. الأولى (Éd.)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت.

المدني، س. (2007). قصيدة شيخ الشيخ أبي مدين شعيب المغربي قدس وتحميسها للشيخ الأكبر محي الدين بن العربي محمد بن علي الطائي الأندلسي. ط. (Éd.)، 1. دار الحكمة: بيروت.

المدني، س. (s.d.). قصيدة شيخ الشيخ -أبي مدين الغوث (éd. دار). (2007). الأولى (Éd.)،

المدني، س. (s.d.). قصيدة شيخ الشيخ -أبي مدين الغوث (1. الأولى (Éd.)، دار. 2007.

المدني، س. (s.d.). قصيدة شيخ الشيخ -أبي مدين الغوث (1. الأولى (Éd.)، دار. 2007.

حنفي، ع. 1. (1987). معجم المصطلحات الصوفية. (Vol. 2) دارا الميسرة.

زيدان، ي. م. (1991). الطريق الصوفي و فروع التقديرية، 1. الأولى (Éd.)، دار الجيل بيروت.

زيدان، ي. م. (s.d.). الطريق الصوفي و فروع التقديرية (1. الأولى (Éd.)، دار الجيل بيروت.

كثير، 1. (s.d.). في التفسير سورة البقرة الآية /213 ج 1.